الإعلام العربي و موقفه من الإحداث العربية المعاصرة

م.د. جبار جمال الدين د. محمد حسن دخيل

المقدمة

ان وصف «الثورات» العربية التي انطلقت اواخر عام 2010 وبداية عام 2011 والتي أسقطت أنظمة دكتاتورية في أربعة من البلدان ، وأقامت أنظمة أخرى بديلة شبيهة بها على أنقاضها ،بـ «الربيع العربي» ،لم يكن بالنسبة لنا مقنعا بما فيه الكفاية ، وبالتالي لم يكن مغريا وبالتالي فنحن كنا وما زلنا نتشوق إلى تغيير حقيقي تستحقه شعوب تلك البلدان جزاء لها على تضحياتها الجسيمة. فمنذ البداية وحتى هذه اللحظة ،لم نستطع أن نفهم ونتفهم هذا الوصف الذي يستخدم على نطاق واسع بين النخب العربية والأجنبية ، ويبدو لنا أننا لن نفهمه لكي أتبناه طالما ظل الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في تلك البلدان باقيا على ماهوعليه.

من المعروف أن الإعلام الغربي هوالذي أطلق وصف «الربيع العربي» ،وكان بوصفه هذا، في اعتقادي متعجلا. وسابقته في العجلة الأقلام العربية فطفقت تهلل به مبرزة إياه على أنها الوصف الأنسب للمنعطف الدقيق الذي

يجتازه العرب. وأحسب أن الواصفين لم يكونوا قد تحققوا بعد من درجة اخضرار هذا الربيع وتورق أشجاره وازهارها. وبدالي بشيء من اليقين أن مقدمات تلك «الثورات» لاتتشابه مع الوصف إطلاقا حتى ظهرت النهايات ؛ لتؤكد ذلك وتبعد عني نهائيا فكرة الاتفاق مع الآخرين ف يوصف الذي حصل على أنه «ربيع عربي» حتى يغير الله من حال إلى حال. وإلى أن يتغير الحال سأبقى أختلف مع من وصفه بـ «الربيع العربي» وسأتمسك بوصفي الشخصي لما حدث في تلك الدول بأنه إعصار. في اعتقادي أن عملية إسقاط تلك الأنظمة الدكتاتورية ، وتغيير الحكومات لم تكن كافية حتى نطلق عليها ربيعا ، إذ أن هذه « الثورات» قدجاءت بآخرين إلى السلطة لايمثلون ،بالنسبة إلى قطاعات واسعة من الجماهير العربية، الأمل والحلم لبناء دولة مدنية تختلف في جذورها عما كان سائدا قبل ذلك. الربيع العربي الحقيقي، في اعتقادي ،هو عندما يتحدد المسار الأمثل للديمقراطية، ويكف الإسلاميون واغلب المؤدلجين من اليمين ومن اليسار ومن كل النحل والملل عن فرض إرادتهم على شعوب البلدان العربية.

إن البديل الذي يقنع الشعوب العربية قاطبة هو الديمقراطية التي تتيح شراكة حقيقية في إدارة شؤون البلدان ،أما أن يسقط نظام ويأتي آخر غيره من دون المساس ببنية النظام له وعبث لايشكل اختلافا عن تلك الانقلابات العسكرية التي جاءت بالقوميين والإسلاميين وغدوا فيما بعد هم أكبر الممارسين للفساد والمستبدين بالسلطة، مما أسهم في تعطيل التنمية الحقيقية ولم يخدمها على الإطلاق.

وهذا ما يحصل حاليا في ليبيا وتونس ومصر أن موقفنا هذا لم يكن، على أي حال ،منطلقا من حسرة وفجيعة على أنظمة لانختلف على أنها تمادت في إذلال شعوبها بالدكتاتورية والاستبداد والفساد، ولذلك فأننا لانختلف مع من يطلب التغيير وأي تغييرإنه التغيير الذي يرنو إلى الأحسن، أما التغيير من أجل التغيير ،أو من أجل النكوص إلى الوراء وعكس حركة التاريخ فهذا تغيير خاطيء لا قيمة له.

المبحث الاول
تأثير الاعلام على الثورات العربية

وجوه متنوعة للإعلام العربي خلال فترة الثورات ،فمنه من كان ناصعا حرا، ومنه من روج الاتهامات للشباب العربي بالعمالة مع الخارج، وتنفيذ مؤامرات غربية.

"عشنا مع الشباب لحظات الألم ولحظات الانتصار. وهنا كمحطات أخرى تعثرت بشكل ملفت للنظر، حيث نقلت أخبار كاذبه وشوهت الحقائق"

"بعضهم شوه الكثير من الحقائق، كما هي الصور التي روجت لها بعض وسائل الإعلام عن ثورات الشباب العربي، بهد فتح ويل حركات التحرر والمدافعين عن حقوق شعوبهم إلى عصابات مسلحة، وخارجين عن القانون، ومندسين، وعملاء للخارج"

تسارعت الأحداث في الشارع العربي بشكل ملفت للنظر منذ بداية العام2011، حيث قام الشباب العربي بالمطالبة بالحرية والكرامة في كل من تونس، ومصر، وليبيا، والبحرين واليمن وغيرها. وكان للإعلام العربي خلال فترة الثورات

وجوه متنوعة، فمنه من كان ناصعا حر اومنه من روج الاتهامات للشباب العربي بالعمالة مع الخارج، وتنفيذ مؤامرات غربية.

لقد ساهمت وسائل الاتصال والإعلام الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي بتشجيع الشباب للثورة وعززت طرق التواصل بينهم. ويؤكد لنا التاريخ مرة أخرى أن الإعلام ووسائل الاتصال هي القوة الأكثر تأثيراً في مسار حياة الشعوب واتجاهاتها وقيمها. والإعلام بحد ذاته أداة قوية ومؤثرة، وإذا ما أحسن استخدامها ،استطاعت أن تؤثر بشكل ايجابي في الترويج للقضايا الحقوقية، وخاصة إذا ما وجهت نحو قضية أوشعب ما، فإنها قادرة على إحراز الآثار والنتائج.. وقد مكنت وعززت قدرات الشباب في التواصل والتجمع والمشاركة الحقيقية في الثورة، وهكذا أصبح زمننا زمن قوة تأثير الإعلام والاتصالات في إدارة حياة الشعوب وخلق معاناتها أو سعادتها...

أطلت علينا معظم الفضائيات العربية بتغطيات خاصة وحصرية وهي تنقل أخبار الثورات العربية وتغطي كافة أنشطتها وتفاعلاتها على مدى 24 ساعة. منها من كان مميز او بارعا، نقل لنا الصورة الحقيقية وعشنا مع الشباب لحظا الألم ولحظات الانتصار. وهنا كمحطات أخرى تعثرت بشكل ملفت للنظر، حيث نقلت أخبار كاذبه وشوهت الحقائق وفق مصالح الذين يملكونها أوالدول التي تدعمها. ومنهم من لعب على الحبلين، ونقل الخبر وفق مصالحه وإستراتيجيته من خلال ازدواجية المعايير بالتعامل مع الثورات، فساعة يروج لها في دولة ما، وفي بلد آخر ينقل أخبار كاذبة ويشوه الحقائق ويستعمل لغة خشبية وقوالب جاهزة لوصف شبابنا العربي.

لقد قامت بعض الأنظمة الحاكمة في الدول العربية، بتشويه سمعة ثورة الشباب العربي، (كما حدث في مصر و تونس و ليبيا والبحرين واليمن) وإلصاق التهم بشباب الثورة ، وخاصة بالعمالة للخارج وبأنهم يعملون وفق أجندات خارجية. كما اتهمتهم ، بأنهم عصابات وبلطجيه تروع المواطنين. واتهمتهم باستخدام الأطفال كدروع بشرية، وبأنهم يتعاطون حبوب الهلوسة، وتقاضي مبالغ مالية بما فيها وجبات الكنتاكي، حتى أنها وصلت إلى اتهام قوى خارجية بإدارة وتنفيذ الثورات.

إن غالبية الدول العربية، رغم تطورها الإعلامي الذي حصل مؤخرا ،إلا أنه أمازالت تستخدم أسلوباً جامدا وقد يكون خشبياً في السيطرة على مضمون وسائل الإعلام فيها، وبعضها يستخدم الرقابة المسبقة على الموضوعات الحساسة، وبعض الحكومات تستخدم الرقابة المباشرة. وفي بعض المحطات العربية تتحدد القيم الإخبارية في ضوء الاعتبارات الإقليمية سياسياً وثقافياً. لقد استخدمت الكثير من المحطات الفضائية العربية، هذه الأساليب لتشويه ثورات الشباب العربي وتفريغها من مضمونها.

الكثير من الحقائق تتشوه صورها أوتفقد أحقيتها وربما تتحول إلى صورة أخرى غير الصورة الحقيقية، كما هي الصور التي روجت لها بعض وسائل الإعلام عن ثورات الشباب العربي، التي ألصقتها وسائل الإعلام بهم بهدف تحويل حركات التحرر والمدافعين عن حقوق شعوبهم إلى عصابات مسلحة، وخارجين عن القانون، ومندسين، وعملاء للخارج.

إن حقيقة وسائل الإعلام (الصحافة ، الدوريات ،الإذاعة، والتلفزيون، الفضائيات، الانترنت) هي جميعاً وبلا استثناء تخضع لسياسات دول أو شركات تتلقى دخولها وتمويلها من مؤسسات متخصصة، توجهها نحو سياسة معينة، هدفها الحفاظ على النظام القائم ودعمه وحمايته، وبذلك فهي لن تكون محايدة أو موضوعية إطلاقاً، وان ادعت بشكلها الظاهر يهذا الادعاء، ولكنها في الحقيقة على العكس تماماً مما تدعي، فما حصل مع شبابنا خلال الثورات العربية والاتهامات التي تعرض لها، إنما ينطوي بداخله على أبعاد ليست مرئية للعيان لدى الأفراد العاديين ،أو الساذجين اللذين يصدقون الإشاعات والاتهامات لشباب يناضل في سبيل الحق والعدل والحرية .

وكلنا نعرف أن التعتيم الإعلامي الأمني يتسبب في انتشار الإشاعات التي تساهم في خلق البلبلة في المجتمعات المغلقة، وترويج لأكاذيب تهدف مصالحها الأمنية.

ان الإعلام الوطني الصادق والحر يجب أن يساعد على معرفة الحقيقة دون التعرض للإشاعات المغرضة التي تكون أضرارها كبيرة، حيث تحرض على العنصرية والمذهبية التي قد تتسبب في الحرب الأهلية كما حصل في لبنان. وفي ظل العولمة الإعلامية وانتشار القنوات الفضائية الإذاعية والتلفزيونية وشبكات الانترنت العربية، وغير العربية لم يعد بمقدور أي دولة التحكم في سياسة إعلامها ،كما كان سابقاً، إلا من خلال وسائلها الإعلامية المملوكة فقط والتي سوف يترتب عليها عدم مشاهدتها إلا في المناسبات الوطنية المهمة، لذا

فالقيود الإعلامية أوشكت على التلاشي في ظل العولمة الكونية، وحل بدلاً عنها الانفتاح الإعلامي. ولم يعد بمقدور أحد أن يخبئ الحقيقة.

إن الإعلام الناجح القادر على إقناع الرأي العام في الداخل والخارج، هو ذلك الذي يسعى لتنوير الرأي العام بطبيعة الأحداث، ويقدم تفسيرات متوازنة لها، ويزيد من وعي الجماهير وقدرتها على فهم الأحداث. إن إعلاماً كهذا لابد من أن يستند إلى أسس علمية من التخطيط الإعلامي الدقيق القائم على استقراء قدرات أجهزة الإعلام الحالية وإدراك طاقتها وإلغاء عيوبها القديمة. فالإعلام الناجح قائم على فهم الثابت والمتحول في العمل الإعلامي مع القدرة الفائقة على معرفة حساب الاحتمالات. وفي أوقات الأزمات يكون هذا الإعلام في أمسّ الحاجة إلى التخطيط للحملات الإعلامية الهادفة إلى مخاطبة الرأي العام وإحداث الأثر المطلوب فيه. كما أن مهمة الإعلام تتعدى عملية نقل اتجاهات الرأي العام وحسب، لتشمل كذلك عملية صنع الرأي العام، وإلا ستكون أجهزة الإعلام بمثابة حمام الزاجل الذي تقتصر مهمته علىنقل الرسائل من طرف إلى آخرمن واجب الإعلام النزيه أن يكون حياديا ويغطي الحدث بشكل مباشر وبحضور محللين ومختصين من أماكن وقوع الأحداث ليضع المشاهدين بالصورة الحقيقية للحدث. إن الوضع العربي الحالي يتطلب إعلام حر مبني على أسس علمية وفكرية وحديثة ولا يستنسخ الأفكار والآراء الخشبية والجامدة المحضرة في قوالب جاهزة.

المبحث الثاني
الثورات العربية والصحافة

تطوّرت وسائل الإعلام والاتصال العربية بشكلٍ كبير في السنوات الأخيرة وشكلت معيناً ساهمت في تراكم الوعي لخلق ما سمي بالربيع العربي. إذ جاء تطوّر القنوات الفضائية ليخلق تنافساً بين الدول العربية على كسب الرأي العام؛ ثم جاء الانترنيت ليخلق مجالاً جديداً للصحافة المطبوعة يعبر حدود الدول وأجهزة الرقابة. أخبار ومسلسلات تلفازيه ومواقع تواصل من الجيل الأوّل والثاني صبّت جميعها في معين، لتصنع معيناً لعب التنافس فيه الدور الأساس في دفع سباق لوضع خيارات متعدّدة أمام الإنسان العربي فتحت له آفاقاً جديدة على واقعه.

ضمن هذا السباق لم يكن مهمّاً السؤال عن مصادر التمويل، حكومية كانت أم تشابكاً بين سلطات المال والسياسة. أو هيمنة تيآر فكري معيّن على فريق التحرير، إذ أنّ انفتاح الآفاق والخيارات والتنافس كانوا أكبر أثراً من طريقة اصطفاف هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك حول قضايا عربية مشتركة مثل حرب إسرائيل على لبنان أو غزّة أو انغماسها في التطبيع، أو حول هذا النظام العربي أو ذاك. حتّى أنّ هذا السباق دفع قوى مؤثّرة في المنطقة لإطلاق محطّاتها الإخبارية باللغة العربية للدلو هي أيضاً بدلوها في معركة كسب القلوب والعقول: من الولايات المتحدة وفرنسا، إلى روسيا وألمانيا، وإيران وتركيا... في حين اكتفت الصين بموقع إخباري على الانترنت.

ثم جاءت ثورتا تونس ومصر ليضعا كلّ هذا على محكٍّ أكبر من لعبة تنافس بين أنظمة : إذ أنّ الرهان كان بالضبط هو سقوط بعضها. فظهر ما ظهر من

تردّد وسائل الإعلام في الانخراط في التعبئة والمساهمة في الأحداث، إلاّ أنّ سرعة سقوط الأنظمة في هاتين الحالتين، ساعدا في حصر المعركة الإعلامية في قضية نقل المعلومة أم لا؛ خاصّة وأنّ المعركة تركّزت في هاتين الحالتين في ساحة العاصمة واقتصرت بجوهرها على استمرار التعبئة والحشد في هذه الساحة. وفي خضمّ هذه الأحداث ،لم يظهر عيباً أنّ بعض وسائل الإعلام قد انخرطت هي أيضاً طرفاً في التعبئة والحشد ،تؤجّجه بذاتها.

دوي السقوط كان كبيراً، وكذلك المراجعة الت يقامت بها الأنظمة العربية كما القوى المؤثرة، أمام ما بدا حدثاً تاريخيّاً يمكن أن يدحرج الكرة على جميع الأنظمة العربية، المتشابهة كلّها في تركيبتها الأساسية، وأمام ما حمله هذا الحدث من ثورة على الفكر السائد، بما فيه حتّى الديموقراطية والاستثمار والتنمية، مقدّماً المجتمع على السياسة. ليس فقط عربيّاً، بل إنسانياً؛ ما تشهد عليه ارتدادات هذه الثورة في دول جنوب أوروبا، من اليونان إلى أسبانيا، وحتّى في الصين أيضاً.

هنا تغاضت أنظمة الخليج العربي عن تنافسها، وبعثّت مجتمعة قواها العسكريّة لوأد ثورة البحرين، وسكتت القوة المؤثّرة عن هذا التدخّل. كان هذا لافتاً، كما خفض وسائل الإعلام لتغطيتها وخجلها، وامتناعها خاصّة عن لعب دور المؤجّج للأحداث على عكس تونس ومصر.

على العكس، وكأنّ الثورات العربية حكر على الجمهوريات، انخرطت وسائل الإعلام العربية في تأجيج ثورة ليبيا، بل في قلبها إلى حرب ،وليس ثورة سلمية أساسها قيمة الإنسان وتضحياته. حتماً يتحمّل العقيد ألقذافي هو نفسه المسؤولية

الأولى والأخيرة، إلاّ أنّ الحرب التي ساهم الإعلام العربي في تأجيجها في ليبيا لحرفها عن مسارها تماثلت مع التلاعب الإعلامي ألمشهدي، بحجة الإنسانية والديموقراطية ،لكن لخدمة سياسات القوى النافذة، التي اعتادت وسائل الإعلام الغربية على ممارسته، من إفريقيا إلى البلقان. لا تحليل، لا محاولة بحث عن معرفة في مضامين الأحداث، بلصور لمقاتلين يطلقون ناراً وخرائط لأرض المعارك ومقابلات مع الحاكم المستبدّ (المفترض أنّه سينتهي) وإبراز لمعارضين يحتضنهم خبراء الإعلام ألمشهدي المتلاعب أمثال برنار هنري ليفي (دون حرج من أن هذا الأخير مناهض لكلّ القضايا العربية).

ثمّ تحوّلت الحرب الإعلامية إلى حرب حقيقية، بحجّة إنسانية كما هو مفترض، وانساقت وسائل الإعلام العربية في الأمر دون أن تستنكر كيف انقلب تفويض من مجلس الأمن بمنع الطيران إلى ترخيص بالقصف ! وباتت تهلّل لعمليات "التحالف" (كذا) العسكرية ،متناسية حتّى الحذر التي كانت تصف فيه عمليات غزو الولايات المتحدة وحلفائها للعراق، مع أنّ صدام حسين كان أيضاً مستبدّاً دموياً.

ويبدو أنّ انخراط وسائل الإعلام العربية كطرف في حرب إعلامية قد ترسخ في احداث سورية واليمن، مع استطالة المخاض في كلا البلدين. ويستخدم النظامان وسائل إعلام خاصّة بهم لشنّ حرب إعلامية مضادة؛ إلاّ أنّ هذا لايمنع شرعيّة التساؤل عمّا يبرز من أحداث وعمّا يسكت عنه، وعن معنى صور ومشاهد تبثّ، وعمّن يمثّل هذا "المعارض" أو هذه الجهة الذي يتوالى على وسائل الإعلام أو يطلب تدخّلاً من دولاً أجنبيّة؟

على مستوى وسائل الإعلام ، تبقى المعركة هي دوماً ذاتها: بين مهنية الصحفي وبين توجيهات من يملك وسيلته؛ وبين موقفه الشخصي، وإن كان محقّاً، وبين ضرورة نقل الحقيقة والتدقيق؛ أي بين مهنيّته وبين تجاذبات العالم المحيط به. فهل سيكون هناك يوماً ربيع ضمن الصحافة و وسائل الإعلام العربية.

المبحث الثالث تداعيات ازمه الاعلام العربي

المطلب الاول : التحيز وعدم المصداقية

يتضح لنا بأنه لايوجد حتى الآن إعلام عربي حر أو محايداً ووسطي ، ويتمتع بمصداقية حقة في عرضه ونقله للقضايا والأحداث العربية، وبالشكل الذى يواكب الإعلام العالمي في التفاعل مع الأحداث دون تحيز أو تأثير، وبحيث يمكن أن ينال ويكسب ثقة المتلقي في كل مكان، لقد بدأ الإعلام العربي الرسمي أمام ذلك الإنفجار لثورة الشباب العربي مترنحا ومتخبطا ومتناقضا في نقل الأحداث والوقائع، التى نقلت بصورة مشوهة ومبتورة ومقموعة ومجتزئة لاتعكس الواقع.

فإذا كانت وسائل الإعلام الرسمية كما أشرنا، هى المسئولة عن هذا التحيز والتخبط العجيب الغريب ودأبها على إتباع وسيلة التعتيم في أكثر الحالات حيال نقل هذه الأحداث التى يموج بها الشارع العربي المنتفض، فماذ انقول عن الإعلام العربي الآخر الخاص الذي يزعم بأنه إعلام مهني ونزيه وحر و ديمقراطي..؟

بينما الإحداث الأخيرة تكذب ذلك وقد دللت على عكس هذه المزاعم، وتلك معضلة مؤرقة مازال يعيش معاناتها الإعلام العربي منذ عشرات السنين، ولكن

حينما جاء الإعلام الفضائي ولدت العديد من القنوات الإخبارية الخاصة، وتفائل العرب خيرا بمقدم الكثير من هذه الفضائيات، لإمكانية تغيير الصورة النمطية المعروفة، وإحداث نقلة كبيرة يمكن أن تحدث التغيير المطلوب في الإعلام العربي، وكانت الجزيرة إحدى هذه القنوات التى نظر إليها باهتمام، وباعتبارها النور الذى إنبلج من وسط هذه العتمة، فبدت أولا وكأنها نسخة طبق الأصل قد أستلهمت من ذات قناة (السي إن إن) الأمريكية التى مازالت صورتها عالقة فأ ذهان الإعلاميين العرب خلال تغطيتها المهنية الرائدة لأحداث عاصفة الصحراء للاجتياح العراقي للكويت، وقد بدت القناة حينئذ بذات الزخم في معايشتها للأحداث العربية من خلال إسهاماتها المتنوعة، وخصوصا أثناء نقلها وتغطياتها للأحداث الدامية في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان والصومال والكثير من المناطق الساخنة في العالم، وقد كانت هذه التغطيات محل إعجاب وتقدير من قبل الكثيرين من الإعلاميين والمثقفين والمتابعين في العالم العربي، وخصوصا أيضا من خلال طروحاتها الإعلامية الجريئةالتى أزعجت الكثير من الأنظمة العربية التى كثيرا ما وصفتها بأنها قناة محرضة، لكنها استمرت خلال ذلك في الإلتزام بالخط الذى إنتهجته كقناة إخبارية مهنية محايدة، رغم الضغوط التى مورست عليها ومن طرد لكثير من مراسليها وتعرضهم للأخطار، وقد كان هناك الكثير من المدافعين والمؤيدين لهذا الخط الجديد باعتباره، يمثل الإعلام الحقيقي والنموذج الأمثل للإعلام الحر، الذى يواكب وينقل جميع الأحداث بحيادية ودون تأثير أو انحياز لطرف من الأطراف، وبالتالي فإنه يعكس صورتها كقناة مهنية محايدة تمثل مقدمة وليدة للإعلام الحقيقي الرائد في العالم العربي ،والذى يطمح إلى تحقيقه كل الإعلاميين

العرب، وق دبدت فعلا هذه الصورة واضحة، ولا تقل بداية في رأيي عن مستوى ماكنا نتأمل هو بما يماثل الإعلام الغربي، ومنه أيضا إذاعة وقناة (البي بي سي) الإنجليزية التي تحظى باهتمام كبير من قبل قطاع الجماهير العربية، وهكذا كانت الجزيرة في بدايتها حيث شعر الجميع بالغبطة بهذه الطفرة الإعلامية الرائدة، التى أحرزتها القناة بهذا التحول للنهوض بالإعلام العربي، لكن هذا للأسف لم يطل كثيرا فلم تلبث أن عادت حليمة إلى عادتها القديمة كما يقول المثل العربي، فقد عادت الجزيرة إلى نفس الصورة الروتينية المعروفة في الإعلام العربي، فسلكت الوضع الإنتقائي الممقوت في إتباع وسيلة إزدواجية المعايير والكيل بمكيالين في تغطياتها للأحداث، وبما يتناسب ويتلائم وطبيعة العلاقة القائمة بين دولتها والأنظمة الأخرى، وقد إتضح هذا جليا في نقل بعض أحداث المنطقة العربية الأخيرة، ومن أهمها أحداث البحرين، حيث طرح ذلك علامات استفهام كبيرة على تحيزها وتجاهلها الغريب، وتعتيمها الإعلامي اللافت على هذه الأحداث، بغض النظر عن كل المبررات والمسوغات التى ذكرت في سياق تبريرها.

فإذن يتضح لنا بأنه لايوجد حتى الآن إعلام عربي حر أو محايد أو وسطي، ويتمتع بمصداقية حقه في عرضه ونقله للقضايا والأحداث العربية، وبالشكل الذى يواكب الإعلام العالمي في التفاعل مع الأحداث دون تحيز أو تأثير، وبحيث يمكن أن ينال ويكسب ثقة المتلقي في كل مكان، من خلال نقله للحقائق بحيادية وأمانة ودون تحريف أو إنحياز ،وبعيدا عن الرقابة ودون إكتراث بما يمكن أن تحدثه ردات الفعل من قبل السلطات أو الأنظمة.

فرغم ما يزعم البعض بالإيمان بالحرية والديمقراطية واحترام المواثيق الإعلامية ،يبدو أن العرب في الوقت الحالى على الأقل غير مستعدين لتقبل الرأي والرأي الآخر للإعلام الحقيقي النزيه..!

ولذلك نعتقد بأن كل الإجتماعات والمؤتمرات والملتقيات الإعلامية العربية، التى تعقد من هنا وهناك، وتتبناها الجهات الإعلامية العربية الرسمية خصوصا، لن يكتب لها النجاح ولن تضيف جديدا مهما كانت شعاراتها ولافتاتها، وهذا ما لم يتم تحييد الإعلام واستقلاله عن الهيمنة السلطوية، ولكن يبدو أن أفضل وسيلة يمكن أن يؤديها الإعلام العربي حاليا حتى الآن، هي وسيلة إستخدامها كإعلام ترفيهي وحسب برغم سلبياته الكثيرة المعروفة، خاصة في ظل هذه التداعيات المريرة وغياب الحس الديمقراطي الحر للنظام الإعلامي العربي بأكمله، وبالتالي عدم وضوح الرؤيا الخاصة بهويته الإعلامية العربية، وتحدي دملامح أهدافه في خدمة قضايانا العربية، في عالم تجاوز فيه الإعلام العالمي هذه الخطوط الحمراء التى يرسمها الإعلام العربي بمراحل كبيرة ومتقدمة، وتلك مفارقة غريبة ومدهشة مازال الإعلام العربي يعيشها في هذه الألفية من القرن الواحد والعشرين، وتلك هي المعضلة الحقيقية الكبرى في واقع أزمة الإعلام العربي المعاصر مع قضايا الحرية والديمقراطية

المطلب الثاني

الاعلام العربي ومواقفة من ثورة البحرين

منذ ان انطلقت ثورة البحرين في مثل هذه الايام من العام الماضي والى اليوم ونحن نراقب عن كثب الطريقة التي تعامل بها الاعلام العربي والخليجي على حد سواء، وللأسف وجدنا ان حالة الازدواجية والكيل بمكيالين هي السمة

البارزة على أغلب هذا الاعلام الذي نتوقع منه الحيادية والمهنية العالية للتعامل في قضية عادلة مثل قضية الشباب الثائرين في البحرين وهم يطالبون بالعدالة والحريات العامة وحقوقهم كمواطنين من الدرجة الاولى وليس الثانية او الثالثة كما يتم التعامل معهم من قبل السلطات البحرينية وفقا للتقارير والاخبار المتواترة التي نسمعها كل يوم.

دأب الاعلام الخليجي الذي يمثل كل مملكة وإمارة ويدافع عن تاريخ الملوك والأمراء فيها لصالح الدوافع الشخصية والذاتية لهم كحكام، ،ولا يخفى على احد ان هؤلاء الولاة قاموا على تأسيس العديد من الوسائل الاعلامية، ومثال ذلك قناتين مهمتين على مستوى العالم العربي تمتلكها السلطات الحاكمة في السعودية وكذلك السلطة الحاكمة في قطر وهاتين القناتين لاننكر عليهما أنهما استطاعا أن يُسقطا نظامين مخضرمين، نظام حسني مبارك ونظام القذافي مع رفضنا لهذه الانظمة الديكتاتورية ولكن عمدت قناتي الجزيرة المملوكة لقطر والعربية المملوكة للسعودية الى تولي كل واحدة منهما احدى الدولتين وبالفعل تمكنت وبأسلوب اعلامي رصين ومتين تحيطه كل شبهات المكر و الخديعة والازدواجية والكيل بمكيالين لما تمتلكانه من إعلاميين محترفين ليس لأجل سواد عيون الشعب المصري اوالليبي وانما لأجندة تحملها الدول المالكة والداعمة لتلك القنوات وهي ذات الاجندة التي تستخدمها وسائل الاعلام الخليجية الرسمية في اخلال الوضع في سوريا واصطحب هذا التوجه التغطية الرسمية السياسية من قبل الجامعة العربية وكل ذلك من اجل اسقاط النظام السوري لحسابات في نفوس العديد من الدول العربية وبالذات دولة قطر ونحن هنا لا ندافع عن النظام السوري بل من حق الشعب السوري أن يطالب بما

يطالب به الشعب البحريني لأن نظامهم مثل باقي الأنظمة التي تهاوت قبله الى السقوط.

ما يهمنا من هذا ان الاعلام العربي والخليجي بأغلبه ان لم يكن كله وقف موقف المعادي أو المحايد من الثورة البحرينية واعتبروا ان القائمين عليها هم ليسوا اكثر من أذرع سياسية لدولة ايران وهو تصور ظالم بكل المقاييس والاعراف وأخلاق العمل السياسي في منطق الثورات، نعتقد ان ذلك هو الغبن بعينه والتجاوز على اغلبية أهالي البحرين وهو مالم تقبله أي ثورة من ثورات العالم ولو كانت في آخر الكرة الارضية لأن شعبا كالشعب البحريني الذي يجوز لنا ان نعتبره من أقدم الشعوب الخليجية ثقافة ويمتلك من الرصانة الثقافية واتساع طبقة المفكرين فيه التي فعلا تجعله شعبا قديم الثقافة بقِدَم تاريخه كبلد يمتد الخمسة آلاف من السنين فلا يمكن أن نقبل فكرة سمجة يسوقها الاعلام الاصفر على أن هذا الشعب تقوده أفكار خارجية بل هي غير عربية ،حتى و ان كان هناك من يميل الى تلك الجهة التي يسمونها (بالصفوية) فهم قلة ولا يمكن بحال ان يمثلوا كل الشعب البحريني الذي يرنوا الى نيل حريته وكرامته وهو يرى في المقابل أن الغرباء على وطنهم الذين توطنوا بفعل التغيير الديمغرافي والمعادلة السكانية التي خطط لها دعاة التفكير السلفي التكفيري سواء من داخل البحرين او من خارجه ممن يحيطونهم في دول المنطقة – وهذا الكلام غير مخفي فقد نقلته جميع وسائل الاعلام عن موجة كبيرة من التجنّس مورست في وطنهم- يرون انهم مهمّشين و يخضعون لرحمة هؤلاء حتى في مواجهة التظاهرات.

في الذكرى الاولى لثورة البحرينيين التي تصادف في 14/ شباط من هذا العام 2012 أجد أن الوضع المضطرب سوف يعود من جديد لوجود بعض الصقور من الذين يؤثرون على القرار السياسي وهذه المجموعة الصغيرة لاتريد طريقا سالكا الى الحوار العقلاني والذين أمل من ملك البحرين أن لا يستمع الى هذه الثلة وخرابها لان بها خراب البحرين فالأصوات المظلومة لن تسكت وهكذا يعلمنا التاريخ على مدى قرون من الزمن لأن الشعوب أقوى من الطغاة كما قالها الشهيد محمد باقر الصدر في سبعينيات القرن الماضي، فأنت ياجلالة الملك عليك تقع حماية الدستور وارواح الناس وصيانة البلاد فلن ينفع عندها رأي ملوث بروح الطائفية العمياء و الحقد و الكره الأعمى لأن كل ذلك لن يولّد غير مثيله واكثر.

لن تتغير المواقف ولا التحدي الذي يمثله الثوار على ارض البحرين لأن الكثير من الأحياء الفقيرة مازالت على حالها كما لم يتغير الوضع وبقي بما هو عليه رغم وعود الملك حمد بالتغيير والاصلاح ومثال ذلك ماوعد به بعودة 2500 موظف مفصول من الوظيفة الى عملهم ولم يعود منهم سوى العشرات فقط بل يعود بعقد جديد مما يعني ضياع عدد من سنين خدمته في دائرته التي كان فيها، وفي اعتقادي هذا لايمكن ان يحقق التصالح الوطني الذاتي لخدمة البحرين ويبقى المتصيدون في الماء العكر من اعلام وغيره هم أصحاب المبادرة في تلويث الاوضاع واعتقد أن اجاز ما ان ملك البحرين لا يريد هذا النوع من الخراب لبلده خصوصا اذا علمنا ان منزلة الملك على مر الزمن هي منزلة سامية حامية لشعوبها تحتضن فقراءها وتلتمس لها حياة حرة كريمة.

اما الاعلام العربي الذي جانب الحقيقة في البحرين وغيّر قواعده الأخلاقية فمن على شاشتهم يتبين انحيازهم الخاطئ وأضع اللوم عليهم من خلال برنامج على قناة الجزيرة القطرية و تحديدا في 2011/6/11 وفي لقاء مع الصحفي المصري الشهير و المخضرم محمد حسنين هيكل الذي قال لمضيّفه محمد الكريشان وفي خصوص الثورة البحرينية ((أننا نستبدل الشيعة بالصهيونية واستبدلنا ايران باسرائيل، ،كما قال : ان هناك اتفاق زمن جمال عبد الناصر و انا(هيكل) أحد الحاضرين فيه باعتبار أن الأغلبية البحرينية شيعة بما يصل الى 70% وانهم عرب شيعة وذلك ليس عيبا والوطن هو لكل المواطنين ولا يجوز أن نقول شيعة وسنّة)) وتحدث عن السعودية قائلا((أعتقد أن السعودية أكبر واهم بلد خليجي ويجب أن تتأهب للتغيير و هذا أكبر من إصدارها صحف واذاعات)) وربما ما يحدث اليوم في بعض المناطق السعودية من تحركات جماهيرية هي بداية لما توقعه سياسيا السيد هيكل.

للأسف لم يكن الاعلام العربي ذا مصداقية حقيقية وواقعية في تعاملهم عالثورة البحرينية ومطالب ثوارها البسيطة التي يطالب بها أبسط شعوب العالم وهي المساواة والحرية في الرأي وحقوق الانسان والتمثيل السياسي الحقيقي برلمانيا وحكوميا وحقهم في التواجد في مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية، لذلك فلا بد لعدسة أي قناة عربية أن ترى الحقيقة بوضوح وبمهنية عالية من الحياد والموضوعية.

الخاتمة

قبل يومين من تنحي الرئيس السابق حسني مبارك، كانت الصحف المصرية الحكومية تتحدث عن «مظاهرات مليونية » تؤيد الرئيس وترفض مايجري في ميدان التحرير. وبعد صدور بيان التنحي ،خرجت تلك الصحف تهلل للتغيير وتسهب في مدح «الفجر الديمقراطي » وذم الرئيس وعائلته ومن كان حولهما منطبقة متنفذة. ونشرت تلك الصحف، التي تسمى في مصر بالصحف القومية، وثائق قالت أنها « تثبت جرائم النظام »الذي حكم مصر ثلاثة عقود. فمن يصدق المصري البسيط... صحافة ماقبل التنحي التي قالت إن لديها و ثائق تثبت «عمالة» متظاهري ميدان التحرير ومشاركة بعضهم في مؤامرة اسرائيلية للتخلص من الرئيس مبارك؟ أوصحافة مابعد التنحي التي قالت إن لديها و ثائق توضح كيف «باع» النظام السابق مصر لاسرائيل وتورط في قتل المئات من المتظاهرين في الميدان والمناطق المجاورة له؟ يمثل الانتقال الطفولي لتلك الصحف من مؤيدة لمبارك من دون تحفظ إلى معارضة شرسة له أزمة الإعلام العربي بشكل عام. المراقب لطبيعة الإعلام العربي وتحولاته خلال العام الحالي لايرى أكثر من أدوات لايختلف ضررها عن أية أسلحة استخدمت ضد متظاهري الميادين سواء في تونس أومصر أو اليمن بل وربما أشد إيلاما من تلك القذائف التي أمطر بها القذافي معارضيه طوال ستة أشهر من القتال. كان البعض يتحدث عن مأزق إعلامي عربي. فبات يرى مستنقعا اختلط فيه الماء الزلال بالملوث والسموم. لاسيما وقد دخل الجميع في تلك اللعبة عبر شبكات التواصل الاجتماعي كفيس بوك وتويتر. وصار الصحافي يعتمد

في أخباره و تقاريره على مايكتب في تلك المواقع من شائعات ومعلومات مضللة و تقارير مدسوسة. ولم يعد هناك من فرق بين الصحافة الرزينة التي تعتمد على أسس وتقاليد صحافية معروفة ومحترمة في العالم كله، وبين إعلام لايميز بين الخبر والرأي ،والمعلومة والشائعة، والأمانة الصحفية والتحريض، والحياد النزيه والعنف اللفظي الذي لايقل قسوة و ضررا من العنف الحسي. حتى المؤسسات الكبيرة، كالجزيرة وغيرها من الأدوات الإعلامية العابرة للحدود، لم تسلم من المشاركة في تلك اللعبة. ولم تتورع عن الولوغ في ذلك المستنقع. وقد نكتشف قريبا الأسباب الحقيقية لاستقالة مدير القناة القطرية. إذا كان الدرس المهم فيما جرى في العالم العربي خلال العام الحالي يدور حول ضرورة إصلاح النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ترهلت خلال العقود الماضية واتجهت، بوعي ومن غير وعي، نحو الديكتاتورية ،فلا يجب الاستهانة أبدا بما كشفه «الربي عالعربي » من مأساة اسمها الإعلام العربي. وليس كلنا في حاجة إلى « ويكيليكس » لندرك حجم تلك المأساة. فمن رؤساء تحرير يدفع لهم القذافي رواتب منتظمة إلى قنوات أسست في أقبية المخابرات إلى مؤسسات تعتمد التحريض السياسي والإثارة الطائفية سياسة تحريرية. لاتختلف كثيرا عن تلك الصحف القاهرية التي قلبت المجن لنظام مبارك بعد دقائق من خروج نائبه السابق عمر سليمان ببيان التنحي الشهير.

ان إصلاح الإعلام العربي بات ضرورة ملحة ، كإصلاح النظم التي تهيمن على ذلك الإعلام . ذلك درس مهم. لكن التحدي الأهم هو كيفية إعادة الثقة الشعبية بذلك الإعلام وقد فقد مصداقيته. ليس من المبالغة القول إن قطاعا مهما

من الرأي العام صار يتجه إلى مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت بديلا عن الإعلام التقليدي. وذلك أمر لا يجب التقليل من خطورته. لكن المؤسسات الإعلامية التي تشكو من ذلك الأمر اليوم هي من ساهمت فيه أساسا. عبرتجاوزها الخطوط الفاصلة بين المهنية والإثارة. وبين الحياد والسياسة. صار الصحافي مخبرا . والكاتب شرطيا و قاضيا. والصحيفة لم تعد تختلف عن أي مخفر شرطة. لن يكون إصلاح الإعلام سهلا. بل ربما عملية ستكون أكثر تعقيدا من إصلاح النظم. لكنها يجب أن تبدأ بالاعتراف أن السياسات التي بني عليها ذلك الإعلام في العقود الخمسة الماضية لم تكن مهنية أبدا. بل لم يختلف معظم ما أسس من أدوات إعلامية خلال تلك الفترة عن أي مؤسسة علاقات عامة. مؤسسات خرجت للترويج لأنظمة ثورية أولمشاريع سياسية لاتملك شرعية شعبية أو أسسا ديمقراطية فاحتاجت إلى مايصنع وهم الشرعية ويبث الأغاني الحماسية ويسبح بحمد النظام صباح مساء. ذلك ساهم في بناء قصور في الهواء وقلاع في الوحل انهارت جميعها لحظة أشعل محمد البو عزيزي النار في نفسه أمام مبنى البلدية في بلدة صغيرة في تونس ربما لم يكن الأغلب الأعم من العرب سمع باسمها قبل ديسمبر2010. تلاشى الإعلام العربي وحل محله خليط غريب من الضجيج . مابين قنوات «الخبر العاجل» وجمود القنوات الرسمية ومعارك «التويتر» ،خرجت صورة جديدة للإعلام لاتمت بأي صلة إلى حرفة الصحافة. اتجه الكثيرمنا إلى الإعلام الغربي باحثا عن الخبر، والتقرير، وربماعن حقيقة ما يدورفي الشارع المجاور لمنزله. قد يكون قاسيا

الاعتراف ،ومؤلما الحديث . لكن الحقيقة أنه لحظة ولد «الربيع العربي»، مات الإعلام العربي كما عرفناه. ربما كان ذلك أمرا حسنا ربما.

نستنتج من خلال ما سبق ، ان دور الاعلام في الثورات العربية كان مؤثرا وفاعلا باتجاهات متعددة ، وهنا لابد من طرح بعض التساؤلات حول دور الاعلام ومنها :

الاولى ، اين يقف الاعلام العربي من الاحداث التي تعصف ببعض الدول العربية ،هل هو اعلام موضوعي محايد ينقل الاحداث بأمانة ومهنية ويترك للمتلقي من جمهوره، وبخاصة جمهور الفضائيات، اتخاذ الموقف الذي يراه؟ أم هو اعلام مواقف ،يسترشد بمن يراه جمهور الاغلبية، فيتبنى رؤية من يُعد على حق بينما يُعد الطرف الثاني على باطل ،يقف مع من يُعد ضحية ضد من يعد جلادا؟ فالاعلام ،كما وصفه احد المشاركين "موقف ،موقف مع الحق ضد الباطل" ،لكن معا لالتزام بمعايير المهنية.

والنقطة الثانية، هي ما مدى مسؤولية الاعلام العربي عما جرى ويجري في العالم العربي، هل ادى الاعلام دوره في نقل الحقائق بامانة ومهنية وترك للناس ان يبنوا قناعاتهم على اساس ماتلقوه من معلومات دقيقة عمادها الموضوعية والحياد ،ام ان دوره كان تحريضيا ،فروّج لطرف ودان آخر، وبالتالي صارمسؤولا مسؤولية تاريخية عما جرى ويجري، لابل بات عليه ان يعثر على حلول للأزمات التي تسبب فيها.

قائمة الهوامش :

(١)هشام شرابي , الفضائيات العربية في العالم العربي , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ٢٠١٢ , صفحه ٣٨-٤٢.

(٢)انظر: سؤدد الالوسي , الاعلام والعنف , عمان , دار اسامه للنشر والتوزيع , ط١ , ٢٠١١ , ص٤٦.

(٣)هشام شرابي , مصدر سابق – ص٦٣

(٤)احمد الشمير , تداعيات ازمة الاعلام العربي في الحريه والديمقراطية , بيروت , دار عويدات للنشر , ٢٠١١ , ص٣٠.

(٥)فاطمة حسين عواد , الاعلام الفضائي , دار اسامه للنشر , عمان , ط١ , ٢٠١٠ , ص٦٣-٦٤.

(٦)انظر: محمد البخاري , العولمة والتبادل الاعلامي الدولي , دار علاء الدين , ١٩٩٩ , دمشق , ص٢٢.

(٧)فاطمة حسين عواد , مصدر سابق , ص٦٨.

(٨)د.محمد ياسني , الربيع العربي وحقبة نهاية الاستعمار , دار زد , لندن , ٢٠١٢ , ص٥٣.

(٩)انظر: باسيلس بانكوليوس , الربيع العربي , الشرق الاوسط وشمال افريقيا ,ترجمة: شادي البدوي, دار الساعي , بيروت , ٢٠١٢ , ص٦٥-٧٠.

(١٠)المصدر نفسه , ص٧٢.

(١١)هشام شرابي , مصدر سابق , ص٥١.

(١٢)د.عبد الله بلقزيز , الربيع العربي الى اين , مركز دراسات الوحده العربية , بيروت , ٢٠١٢, ص٨٠

(١٣)المصدر نفسه , ص٨٢.

(١٤)انظر: عيسى علي الفهد وسؤدد فؤاد الالوسي , وسائل الاعلام والحرب , دار اسامه للنشر, ٢٠١٢,ص٢٦-.٢٨

(١٥)المصدر نفسه , ص٣٠.

(١٦)محمد الجمال , الاتصال والاعلام في العالم العربي في عصرالعولمة , الدار العربية اللبنانية , بيروت , ٢٠٠٦,ص١٧.

(١٧)جواد كاظم الخاصي , ربيع البحرين , شبكة الناصرية الالكترونية , ٢٠-٢-٢٠١٢.

(١٨) الصدر نفسه.

(١٩)د. عبد الله بلقزيز , مصدر سابق ص٧٨.

(٢٠)باسيلس بانكوليوس , مصدر سابق , ص٨٨.